الرياء

أسبـاب عـذاب القبـر

الرياء

الحمدُ لله رب العالمين: ذي الجلالِ والإكرامِ، وشارعِ الحلالِ والحرامِ، الذي له مُلْكُ السماوات والأرضِ، وله في عبادِه حقُّ المنْعِ والفرضِ، أحمدُه ﷻ بما هو له أهلٌ من الحمدِ، وأُثني عليه، وأستغفرُه من جميعِ الذنوبِ وأتوبُ إليه، وأؤمنُ به وأتوكّلُ عليه، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له.

سبحانه: علام الغيوب، المطلع على سرائر القلوب، المتجاوز عن كبائر الذنوب، العالم بالسر وأخفى، الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كَمُلَ ووفِّي، وخَلُص عن شوائب الرياء والشرك وصفاً، فقال ﷻ :{فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} [الكهف: ١١٠].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: حكم على المرائي بعدم قبول أعماله، ووعده بجهنم والعياذ بالله، فقال ﷻ :{مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود: ١٥، ١٦].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً ﷺ : حذرنا من الرياء، فروى البيهقي وابن أبي شيبة، وابن خزيمة عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ:«أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله: مَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ ﷺ :«يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلاَتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ» فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد، أخوة الإسلام

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب عذاب القبر، ألا وهو:

الرياء (الشرك الأصغر)، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله ﷻ أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا اليوم.

الحقيقة الأولى: إن الله ﷻ أمرنا أن نعبده وحده، فلا نشرك معه غيره في العبادة، وأوجب على كل مسلم ضرورة الإخلاص في العبادة له وحده، فقال ﷻ :{وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة: ٥].

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل أمر الله ﷻ الرسول ﷺ بضرورة الإخلاص في الأعمال، فقال ﷻ :{تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ * أَلاَ للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: ١ - ٣].

وقال ﷻ :{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} [الزمر: ١١ - ١٥].

بل جعل الله ﷻ الإخلاص شرطاً في قبول الأعمال، فقال ﷻ : {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} [الكهف: ١١٠].

فالواجب على كل مسلم أن يحقق الإخلاص في عمله، حتى يكون مقبولاً عند الله ﷻ.

الحقيقة الثانية: إن أعمال الجوارح كلها تابعةٌ لحركة وإرادة القلب، فإن كانت حركة القلب وإرادتُه لله ﷻ وحده، كانت حركة الجوارح وأعمالها لله ﷻ وحده، وإن كانت حركة القلب وإرادته وعمله، من عبودية، ومحبة، ورجاء، وتوكل، وخشية، وإنابة، وتفويض، لغير الله ﷻ، كانت أعمال الجوارح وحركاتها أيضاً لغير الله ﷻ، فانبعثت الجوارح بمعصية الله ﷻ؛ لأن القلب هو الملك، والجوارح هي جنوده ورعاياه، وإن صح وصلح المَلِكُ، صح وصلح الجنود والرعايا، وإن فسد الملك، فسد الجنود والرعايا، فهم يأتمرون بأمره، ويعملون بتوجيهه.

ولقد أشار الرسول ﷺ إلى هذه الحقيقة، فروى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ».

فالأعمال كلها يتوقف قبولها على صلاح النية، فإن ابتغيت بعملك الله ﷻ، قُبِل منك العمل، ولو كان في أعين الناس حقيراً، ولو ابتغيت بعملك لغير الله ﷻ، رد عملك في وجهك، ولو كان في أعين الناس عظيماً.

ولقد بين لنا الرسول ﷺ ذلك، فروى البخاري ومسلم عن

أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: أَنَّ رَجُلاً أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ الله: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ الله؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله أَعْلَى، فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله».

وروى البخاري وغيره أن الرسول ﷺ قال: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّات، وَإِنَّمَا لكل امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وإِلى رَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى الله وإِلى رَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

الحقيقة الثالثة: ما هو الرياء؟ الرياء هو: ترك الإخلاص في العمل بمراعاة غير الله ﷻ فيه، وقيل: هو فعلُ الخير لإِرَاءَة الغير، وقال الغزالي: أصل الرياء: طلب المنزلة في قلوب الناس بإيرائهم خصال الخير.

الحقيقة الرابعة: ما دواعي الرياء؟ للرياء دواعي كثيرة أهما ما يلي:

أولاً: عدم معرفة العبد بربه معرفة حقيقية: فإن العبد إذا لم يعرف ربه معرفة حقيقية، فإن ذلك يجعله لا يقدره حق قدره، فقال ﷻ: {وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر: ٦٧].

فالمرائي لا يعرف أن الله ﷻ بيده مقاليد الأمور، فهو الذي بيده النفع والضر، والفقر والغنى، فقال ﷻ: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ المُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [آل عمران: ٢٦، ٢٧].

فعندما يجهل الإنسان منا هذه الأمور كلها، حينئذ يحرص العبد على مراءاة الناس، وتسميعهم كلَ ما يصدر من الطاعات، لكي يمنحوه ثناء، أو

يرفعوا قدره، ويُعلوا شأنه، وليس ذلك بأيديهم، إنما هو بيد الله ﷻ.

ثانياً: إشباع غريزة الحمد والثناء من الناس: فالإنسان المرائي يفرح بمدح الناس له، ويشكر المادح، ويغضب من الذم، ويحقد على الذام، وهذا يدفعه إلى الرياء، فقال ﷻ :{لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [آل عمران: ١٨٨].

ثالثاً: الصحبة والرفقة السيئة: لأن المرائي قد يكون له صحبة سيئة، لا هم لهم إلا الرياء والسمعة، فهو يقلدهم، ويحاكي أفعالهم وسلوكهم، ولا سيما إذا كان من الشخصيات الضعيفة التي تتأثر بالآخرين، ولقد حذرنا المولى ﷻ من الرفقة السيئة، فقال ﷻ :{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً* يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً} [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

رابعاً: حب الرياسة والمنصب: فالإنسان منا عندما يحب الرياسة والمنصب، فإن ذلك يدعوه إلى الرياء، مع أن الرسول ﷺ بين لنا أن المناصب ستكون حسرة على أهلها يوم القيامة، فروى البخاري أن الرسول ﷺ قال:«إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَإِنَّهَا سَتَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةً وَنَدَامَةً، فَنِعْمَتِ الْمُرْضِعَةُ، وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ».

ولقد حذرنا الرسول ﷺ من طلب الرياسة، فروى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال لعبد الرحمن بن سمرة:«يا عبد الرحمن، لَا تَسْأَلْ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ، أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ، وُكِلْتَ إِلَيْهَا».

خامساً: الجهل بعواقب الرياء وآثاره: فإن جهله يؤدي به إلى مراءاة الآخرين، لكنه لو عرف عواقبه وأضراره، لانتهى.

ولقد ذم الله ﷻ الجهل، فقال:{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا

أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ} [الأعراف: ١٧٩].

ولقد بين الله ﷻ أثر الجهل على صاحبه يوم القيامة، فقال:{وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لأَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك: ١٠، ١١].

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على أقسام العمل مع الرياء.

أولاً: يكون العمل رياءً محضاً، كأن يكون الرياء في أصل الدين، أي: أن يُظهِرَ الإسلام ويُبطِنَ الكفر، فهذا أشد أبواب الرياء، ولقد أشار إليه المولى ﷻ في القرآن، فقال:{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الله والله يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ والله يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} [المنافقون:١].

وقال الله ﷻ :{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ الله عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ والله لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ} [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥].

هذا النوع من الرياء صاحبه مخلد في النار؛ لأنه منافق معلوم النفاق، فقال ﷻ :{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} [النساء: ١٤٥].

ثانياً: أن يكون الرياء بعبادة من العبادات، أو بطاعة من الطاعات، مع وجود أصل الدين، كأن يكون الرجل مؤمناً موحداً لله ﷻ، ولا يسجد إلا لله، ولا يوجه العبادة إلا لله، إلا أنه زل في عبادة من عباداته وطاعة من طاعاته، فراءى بها الناس والمخلوقين.

فهذه العبادة وهذه الطاعة وهذا العمل حابط ومردود في وجهه، ولا قبول له عند الله ﷻ؛ لقول الله ﷻ :{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} [الكهف: ١١٠].

ثالثاً: أن يكون الرياء مشاركاً للعمل، فإن شارك الرياءُ العملَ من بدايته، أي: من الأصل، ومنذ انعقاد النية، فهذا العمل محبط وغير مقبول أيضاً.

فلو أن رجلاً خرج ليصلي، وما خرج أصلاً للصلاة إلا مراءاة للمخلوقين، وليرائي بها الناس، فالرياء شريك مع نية العمل، فهذا العمل كله من أوله إلى آخره عمل حابط ومردود في وجه صاحبه، لما رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:«قال الله ﷻ : أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه».

وفي رواية ابن ماجة:«فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك».

رابعاً: قد يكون العمل لله ﷻ في أوله، فيأتي الرجل للصلاة يبتغي بها وجه الله ﷻ، ولكنه وهو في أثناء الصلاة طرأ عليه طارئ الرياء، فاختلف العلماء في هذه الحالة هل يحبط العمل كله أم لا؟ ولكن الراجح كما رجحه الإمام أحمد، والإمام الطبري: أنه إذا كان أصل النية لله ﷻ، وإذا كان أصل العمل لله جل وعلا وطرأ عليه طارئ الرياء، فإن دفعه فلا يضره هذا الطارئ بلا خلاف، أما إن استرسل مع الرياء في العمل، فإن عمله لا يحبط ولا يرده الله، وإنما يجازى على أصل نيته الأولى، وهذا من رحمة الله ﷻ.

خامساً: أن يكون العمل خالصاً لله ﷻ وحده، لا تشوبه شائبة من شوائب الرياء، ولا من شوائب النفاق، ويلقي الله ﷻ للعبد الحب في قلوب الخلق وفي قلوب الناس، ويجري ألسنتهم بالثناء عليه، فيفرح العبد بذلك ويستبشر به، فهذا لا يضره بإجماع العلماء، وليس هذا من أبواب الرياء؛ لما رواه مسلم من حديث أبي ذر ﷺ : أنه سأل عن الرجل يعمل العمل من أعمال الخير، فيحمده الناس عليه، أي: يعمل أعمال الخير مبتغياً وجه الله ﷻ، ومخلصاً لله في عمله؛ فيحمده الناس

على هذا العمل، فقال النبي ﷺ :«تلك عاجل بشرى المؤمن».

وقال ﷻ :{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم: ٩٦].

قال ابن عباس ﵄ : أي محبة في قلوب الخلق.

ويؤكد ذلك ما رواه البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل، وقال: يا جبريل! إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء: يا أهل السماء! إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض».

وروى البزار وصحح الحديث الشيخ الألباني أن النبي ﷺ قال:«ما من عبد إلا وله صيت في السماء، فإن كان صيته حسناً، وضع في الأرض، وإن كان صيته في السماء سيئاً، وضع في الأرض».

ويجب أن يعلم الجميع: أن حسن الثياب، وحسن النعل، وحسن المظهر، ليس من الرياء، والدليل على ذلك ما رواه الإمام البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال:«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: يا رسول الله: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً، فقال النبي ﷺ :«الكبر بَطَرُ الحق، وغمط الناس».

أخوة الإسلام:

لقد انتشر الرياء في هذه الأيام بصورة لا ترضي الله ﷻ ولا ترضي الرسول ﷺ، فنجد كثيراً من الناس غرهم حب الظهور، وأعماهم الحرص على محمدة الناس وثنائهم، فعبدوا الله ﷻ رياء وسمعة، وطلبوا الدنيا بأعمال الدين، وتظاهروا بالصلاح كذباً ونفاقاً، فتعالوا معي لنتعرف على الأشياء التي يتراء بها المرائون.

أولاً: الرياء بالعبادة: فالمرائي يرائي بعبادته، فإذا ما ذهب المرائي ليصلي مثلاً، فهو يذهب إلى موضع الصلاة ليقال عنه: أنه كثير

الصلاة، فإذا دخل المسجد ورأى غيره في المسجد اجتهد في الصلاة، ليس ابتغاءً لله ﷻ، ولكن رياءً، فيطيل القيام، ويمد الظهر، ويطيل في السجود والركوع، ويترك الالتفات، وإظهار الهدوء والسكينة، وتسوية القدمين واليدين.

وإذا أراد أن يتصدق تصدق تفاخراً ورياءً، ليقال عنه أنه متصدق أو خيِّرٌ، نجد المرائي في العبادة إذا اطلع عليه أحد خشع في عبادته، وإذا وجد أنه لا يطلع عليه أحد رجع إلى عادته في العبادة، من الإسراع والالتفات وعدم الخشوع.

ثانياً: الرياء بالبدن: والرياء بالبدن يكون من جهتين:

الجهة الأولى: جهة الدين: وذلك بإظهار النحول والصفار؛ ليوهم بذلك شدة الاجتهاد، وعظم الحزن على أمر الدين، وغلبة خوفه من الآخرة، ويرائي بضعف الصوت، وغور العينين، وذبول الشفتين، ليستدل بذلك على الصيام، فروى الطبراني عن أبي هريرة ﷺ أن سيدنا عيسى ﷺ قال: «إذا صام أحدكم، فليدهن رأسه، ويرجل شعره، ويكحل عينيه» إنه يخاف عليهم أن يراءوا بما يظهر من بشرة وجوههم، الذي يدل على صيامهم.

الجهة الثانية: جهة الدنيا: فهم يراءون بالسمن، وصفاء اللون، وانتصاب الصلب، وذلك أيسر من الرياء في الدين، وهؤلاء قال الله ﷻ فيهم للرسول ﷺ: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ} [المنافقون: ٤].

ثالثاً: الرياء بالهيئة والزي: فنجد المرائي يتراءى بهيئته وزيه، فالرياء بالهيئة يكون بتشعيث شعر الرأس والهدوء في الحركة، وإبقاء أثر السجود على الوجه، ولبس الصوف وتشميرها إلى قرب الساق، وتقصير الأكمام، كل ذلك ليظهر المرائي أنه متبع لسنة الرسول ﷺ، ومقتد فيه بعباد الله ﷻ.

وأما الرياء بالزي: فيكون بالثياب النفيسة، والمركب الرفيع، ليقال عنه: أنه يلبس أفضل الثياب وأحسنها.

رابعاً: الرياء بالقول: فنجد رياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة، وحفظ الأخبار والآثار، وإقامة الحجة عند المجادلة، وحسن الصوت بالقراءة وتحزينه والتباكي، ليدل على أنه خائف من الله ﷻ.

خامساً: الرياء في المعاملة: فنجد الرياء في المعاملة بين الناس قد انتشر، حتى ألفوه وتعوده، فأصبح الغش مهارة، واللف والدوران والكذب والبهتان حنكة وسياسة، وأصبحت الصداقة والصحبة بين الناس نفاقاً ومخادعة، فلا يعرفك صديقك إلا لغرض، إن احتاج إليك لازمك، ورفعك إلى السماء، وإن استغنى عنك قطعك وأنزلك إلى الحضيض.

يقابلك فيبش لك الوجه، ويضحك ويمدحك في وجهك، ويذمك وينهش عرضك في غيبتك، لذلك تقطعت الروابط بين الناس، وتسمم الهواء بالرياء، حتى أصبحنا لا نجد في الأغلب تاجراً ولا صانعاً صادقاً، ولا بائعاً نزيهاً عفيفاً، ولا شريكاً أميناً، ولا متعبداً حسن القصد، طاهر النية، وتلك هي صفات الذين ضل سعيهم، وفسد حالهم، وكانوا من الخاسرين.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على كيفية العلاج من داء الرياء.

أولاً: أن يعرف الإنسان ربه ﷻ حق المعرفة ويقدر قدره: فعلى الإنسان أن يعلم أن الله ﷻ هو الرافع والخافض، وأنه هو المعز المذل، وأنه هو الذي يعلم السر وأخفى، فعلى الإنسان أن يعلم أن الله ﷻ مطلع عليه، فلو لم ير العبد ربه فهو يراه ويطلع عليه، قال ﷻ :{أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر:

٣٦].

ثانياً: أن يعرف العبد ما أعده الله ﷻ للمرائين، وما أعده للمخلصين: وشتان بين هذا وذاك، فالمراءون قد أعد لهم العذاب المقيم، والويل الشديد، والمخلصون قد أعد الله ﷻ لهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فقال ﷻ :{فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ* أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ* وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [السجدة: ١٧، ٢١].

ثالثاً: أن يُعَوِّدَ الإنسان نفسه إخفاء العبادات: مثل إغلاقه الأبواب ساعة ارتكاب فاحشة من الفواحش، قال ﷻ :{إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [البقرة: ٢٧١].

رابعاً: التخلي عن صحبة من عُرفوا بالرياء وحب المدح: لأن المرء على دين خليله، فروى الحاكم وأحمد أن الرسول ﷺ قال:«الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ».

وعليه أن يصاحب المخلصين الموحدين؛ لأن يوم القيامة سيلوم كل صاحبه، كما قال المولى ﷻ :{إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

خامساً: الدعاء: فعلى المسلم أن يدعو المولى ﷻ أن يقيه من الرياء، فروى أحمد والطبراني في معجمه الكبير أن الرسول ﷺ

قال:«أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا الشِّرْكَ، فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ»، فَقَالَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ يَا رَسُولَ اللهِ، وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ؟ قَالَ ﷺ :«قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا نَعْلَمُ».

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله ﷻ للمرائي:

هناك عقوبات دنيوية، وعقوبات أخروية، فأما العقوبات الدنيوية ما يأتي:

أولاً: الرياء من صفات المنافقين: فقال ﷻ :{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً} [النساء: ١٤٢، ١٤٣].

ثانياً: المرائي قرين الشيطان: فقال ﷻ :{وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قِرِيناً * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيماً} [النساء: ٣٨، ٣٩].

ثالثاً: عدم قبول العمل وإحباطه مطلقاً: فقال ﷻ :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٢٤٦].

فكذلك عمل المرائي، لا يستفيد منه شيئاً.

وقال ﷻ :{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً} [الفرقان: ٢٣].

أي: أنه ﷻ أحبط أعمالهم من أجل الرياء، حتى صارت بمنزلة الهباء.

رابعاً: الفضيحة في الدنيا: روى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال: «مَنْ سَمَّعَ، سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي، يُرَائِي اللهُ بِهِ».

يروى أن رجلاً من بني إسرائيل وكان من العباد، وقد علم أن قوماً يعبدون شجرة، فأخذ فأساً وذهب ليقطعها، فقابله إبليس في الطريق إليها؟، فسأله: إلى أين أنت ذاهب؟ قال: إني ذاهب إلى الشجرة التي علمتُ أنها تعبد من دون الله ﷻ؛ لأقطعها، فقال له إبليس: لن تقطعها، فقال العابد: لا بد من قطعها، ثم قاتل العابد إبليس، فصرعه، فلما رأى إبليس أن العبد قد صرعه بقوة إيمانه وإخلاصه، احتال عليه فقال له: إنك رجل فقير ومحتاج إلى المال، فارجع إلى محرابك، ودع أمر الشجرة لأحد غيرك، ولو شاء الله ﷻ قطعها لأرسل رسولاً لقطعها، ثم قال له: ولك مني مقابل هذا ديناران كل ليلة، فاقتنع العابد بهذا، ثم عاد إلى محرابه، ففي الليلة الأولى وجد الدينارين، وفي الليلة الثانية وجد الدينارين، وفي الليلة الثالثة لم يجد شيئاً، فخرج غاضباً ليقطع الشجرة، فقابله إبليس فقال له: إلى أين؟ فقال: إني ذاهب إلى الشجرة لأقطعها، فقال له إبليس: لن تقطعها، فقال العابد: لا بد من قطعها، ثم قاتله، فصرعه إبليس، فتعجب العبد، ثم قال لإبليس: لماذا غلبتك أولاً، ثم غلبتني ثانياً؟ فقال إبليس: لأن غضبك أولاً كان لله ﷻ، وغضبك ثانياً كان للدينارين.

خامساً: براءة الله ﷻ منه: روى ابن ماجه أن الله ﷻ يقول في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك».

أما العقوبات التي في الآخرة فيه ما يأتي:

أولاً: الفضيحة في الآخرة: روى الترمذي وابن حبان أن الرسول ﷺ قال: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه، نادى مناد: من كان أشرك في عمله لله أحداً، فليطلب ثوابه من عنده، فإن الله أغنى

الشركاء عن الشرك».

ثانياً: المرائي أول من تسعر به النار يوم القيامة: روى مسلم والنسائي أن الرسول ﷺ قال:«إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ؛ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ؛ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

ثالثاً: الإذلال للمرائين: روى الطبراني في معجميه الأوسط والكبير أن الرَسُولُ ﷺ قال:«يُؤْمَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بناسٍ إِلَى الْجَنَّةِ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْهَا، وَاسْتَنْشَقُوا رَائِحَتَهَا، وَنَظَرُوا إِلَى قُصُورِهَا وَمَا أَعَدَّ اللهُ لأَهْلِهَا فِيهَا، نُودُوا اصْرِفُوهُمْ عَنْهَا، لا نَصِيبَ لَهُمْ فِيهَا، فَيَرْجِعُونَ بِحَسْرَةٍ مَا رَجَعَ الأَوَّلُونَ بِمِثْلِهَا، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا لَوْ أَدْخَلْتَنَا النَّارَ قَبْلَ أَنْ تُرِيَنَا مِنْ ثَوَابِكَ، وَمَا أَعْدَدْتَ فِيهَا لأَوْلِيَائِكَ، كَانَ أَهْوَنَ عَلَيْنَا، قَالَ: ذَلِكَ أَرَدْتُ بِكُمْ إِذَا خَلَوْتُمْ بَارَزْتُمُونِي بِالْعِظَامِ، وَإِذَا لَقِيتُمُ النَّاسَ لَقِيتُمُوهُمْ مُخْبِتِينَ، تُرَاؤُونَ النَّاسَ بِخِلافِ مَا تُعْطُونِي مِنْ قُلُوبِكُمْ، هِبْتُمُ النَّاسَ وَلَمْ تَهَابُونِي، وَأَجْلَلْتُمُ النَّاسَ وَلَمْ تُجِلُّونِي، وَتَرَكْتُمْ لِلنَّاسِ وَلَمْ تَتْرُكُوا لِي، فَالْيَوْمَ أُذِيقُكُمْ أَلِيمَ الْعَذَابِ مَعَ مَا حَرَمْتُكُمْ مِنَ الثَّوَابِ».

رابعاً: أعد الله ﷻ وادي في جهنم: فقال ﷻ :{فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ

هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ* الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} [الماعون: ٤ - ٧].

وروى الطبراني في معجمه الكبير أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي جَهَنَّمَ لَوَادِ، تَسْتَعِيذُ جَهَنَّمُ مِنْ ذَلِكَ الْوَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعَ مِائَةِ مَرَّةٍ، أُعِدَّ ذَلِكَ الْوَادِي لِلْمُرَائِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، لِحَامِلِ كِتَابِ الله، وَلِلْمُصَّدِّقِ فِي غَيْرِ ذَاتِ الله، وَلِلْحُجَّاجِ إِلَى بَيْتِ الله، وَلِلْخَارِجِ فِي سَبِيلِ الله».

* * *